

البناء العلمي

المرحلة الثانية

الفصل الدراسى الأول

السياسة الشرعية 4

د. صالح بن حميد

الدرس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله تعالى: (وَفِي الصَّبرِ احْتِمَالُ الْأَذَى، وَكَظْمُ الْغَيْظِ، وَالْعَفْوُ عَنَ النَّاس، وَمُخَالَفَةُ الْهَوَى، وَتَرْكُ الْأَشِرِ وَالْبَطَرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ * إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: 9- 11]، وَقَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 133، 134]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: 34- 36]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: 40].

وقال الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ -رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ: "إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، نَادَى مُنَادٍ مِنْ بُطْنَانِ الْعَرْشِ: أَلَا لِيَقُمْ مَنْ وَجَبَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، فَلَا يَقُومُ إِلَّا مَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ")}.

كلام الشَّيخ هنا استمرارٌ لكلامه عن الفئة غير المتنعة، ويتكلم عن الجهاد -جهاد الكفار- وجهاد المُمتنعين مِن أهل الإيمان، كالبغاة وغيرهم، ويذكر ما ينبغي للإمام ونوَّابه في التَّعامل معهم في هذه الأحوال.

- قال: (إِذَا كَانَتِ الفِئَةُ غَيرُ مُمْتَنِعَة) ، بمعنى: أنَّهم لم يصدر منهم مخالفة وتمرد، وإنما عندهم مخالفات سلوكيَّة ومخالفات شرعيَّة، وذكر جملة من الآداب، وذكر ما ينبغي أن يتحلَّى به ولي الأمر ونوَّابه من الإخلاص، والإحسان، والصَّبر، إلى آخره.
- وهنا ذكر الشَّيخ خمس توجيهات –أو آثار- تنبع مِن الصَّبر، إذا ما تحلى العبد بالصَّبر، منها:

١) احتمال الأذى.

٢) كظم الغيظ.

٣) العفو عن النَّاس.

٤) مخالفة الهوى.

٥) ترك الأشِرِ والبطر.

❖ **الأول:** احتمال الأذى.الآن يتكلم الشيخ عن الإمام ونوَّابه، ولكن ينبغي أن يتوفر ذلك -أيضًا- داخل البيوت والأسر، فأنت إذا كنت تريد أن تختبر نفسك هل أنت من الصابرين؛ فانظر إلى نفسك في احتمال الأذى. فلو توجه إليك أذى، سواء بالقول أو بالفعل، أو بالسلوك، أو بأي موقف من زميلك أو صديقك أو أهل بيتك، أو قريب أو بعيد، تعرفه أو لا تعرفه؛ فبقدر ما وهبك الله من صور احتمال الأذى، فهذا دليل على أنك مِن أهل الصَّبر.

❖ **الثاني:** كظم الغيظ، وهو مظهر من مظاهر الصَّبر، ومعلوم أنَّ كظم الغيظ يعني أنك أصابك غيظ، أي: جاء سبب يغيظ صدرك ولكنك كظمته.

❖ **الثالث:** العفو عن النَّاس، وهذا مِن أعظم ما ينبغي أن يتحلَّى به كل مؤمن، فلابدَّ أن تُبتلى بمن يَتَجاوزُ عليك بقولِهِ، أو بلفظِهِ، أو بلحظِهِ، أو بلسانِهِ، أو بتصرفاتِهِ، أو بسلوكِهِ، فحينما يهبك الله العفو وغالبًا ما يكون العفو عند المقدرة.

❖ **الرابع:** مُخالفة الهوى ، بمعنى أنك حينما يمرُّ عليك سواءٌ من تصرفات إخوانك، أو تصرفات أهل بيتك، أو تصرفات بعض النَّاس سواء تعرفهم أو لا تعرفهم، فاستطعت أن تتغلب على هوى نفسك، وتتغلب على دوافع نفسك، وتحكَّمت في هواك، فهذا من أعظم مظاهر الصَّبر.

❖ **الخامس:** ترك الأشر والبطر، الأشر والبطر لاشك أنَّه ليس من باب كظم الغيظ والعفو عن النَّاس؛ لأن كظم الغيظ والعفو عن النَّاس، ومخالفة الهوى، يكون غالبًا في مقابل تصرفات النَّاس، حينما يتصرفون معك تصرفًا أنت لا ترتضيه، يكون الموقف منك أن تكتم غيظك، وأن تعفو، لكن الأشر والبطر هو أن يكون التَّجاوز منك أنت، فمن علامات الصَّبر: أن لا تكون ذا أشر أو بطر، ومعلوم أن البطر كما قال النَّبي صلى الله عليه وسلم: **«الكِبرُ بَطرُ الحقِّ وغمطُ النَّاس»**[1]، فلا تتجاوز لأنك صاحب سلطة، أو لأنك أقوى، سواء كنت في موقف أب، أو في موقف معلم، أو موقف إمام مسجد، أو موقف مدير إدارة، أو رئيس شركة، فالأشر والبطر تجاوز، بينما كظم الغيظ والعفو عن النَّاس ردةُ فعل، وكلها من مظاهر الصَّبر.

- ثم شرع الشَّيخ بالاستدل بآيات عجيبة، الآية الأولى من سورة هود: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾، يعني: إذا أعطاه الله نعمة ثم نزعها منه، كان يئوسًا كفورًا.

"يئوس" لأنه يئس من رحمة الله، "كفور" لأنه نسي نعمة الله، ونعمه الكثيرة التي أعطاها إياه قبل هذه الرحمة التي نزعها الله منه.

[1] صحيح مسلم (91).

- الآية التي بعدها: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ ، هذا البطر -نسأل الله السَّلامة- فهو ما بين "يئوس كفور" حينما نُزعت منه، و"فرح فخور" حينما نسي، وحينما أنعم الله عليه.
- الشَّيخ استشهد بقوله: ﴿لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾ و ﴿لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ ثم استثنى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فهؤلاء لا يكونون يؤوسين ولا كفورين، ولا فرحين ولا فخورين.
- وفي آية أخرى فيها توجيه لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199]، هذه التوجيهات تدلُّ على حسنِ التعاون مع النَّاس.
- وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ من هم؟ ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾، فالإنفاق له دورٌ عجيب في التَّربية.
- قال: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، ثلاث درجات.

يعني حينما يتجاوز عليك أخوك المسلم بكلامٍ أو بسبٍّ، أو بكلام غليظ، حتى ولو تجاوز وتعدى بيده. فالمراحل التي تدل فعلًا على أنك مِن المتقين، وتدل على أنك من الصابرين ،كظم الغيظ، هذه المرحلة الأولى، بمعنى بدل أن تستجيش نفسك وصدرك، فإنك تكظم غيظك، بمعنى تكتمه ،يليها مرحلة أعلى، وهي أن تعفو، ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ ، يعني لم تكتفِ فقط بكظم الغيظ، وإنما تجاوزت إلى خلقٍ أعلى وأسمى، أو مرتبةٍ أعلى، وهي العفو،أعلى منهم: الإحسان ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

- والآية هنا في سورة آل عمران: ﴿وَسَارِعُوا﴾ فيها صفات المتقين ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، ثم قال أيضًا بعدها: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ إلى آخره.
- والآية الأخرى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾، فهذه كلها استشهاداتٌ من الشَّيخ في مقام الصَّبر.
- وأيضًا في الشورى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ ، جزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها، من حقك أن تأخذ حقك، من حقك أن تعتدي مثلًا، لكن ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.
- ثم قال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: 43].
- (قال الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ -رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ: "إذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، نَادَى مُنَادٍ مِنْ بُطْنَانِ الْعَرْشِ -البطنان، قال الشراح وأهل اللغة: وسَطُ العرش، أو من أصله؛ أي داخله- أَلَا لِيَقُمْ مَنْ وَجَبَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، فَلَا يَقُومُ إلَّا مَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ").

هذا خبر وأثر، وليس له حكم الرفع، وقد يكون -كما قال بعض شيوخنا كالشَّيخ ابن عثيمين: "ليس ببعيدٍ أن يكون من الإسرائيليَّات". ولكن بالمراجعة روي مرفوعًا عن ابن عباس، وعن عمران بن حصين، وعن أنس بن مالك، ولكن هذه الروايات تجدها ضعيفة.

{قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله: (وَلَيْسَ حُسْنُ النِّيَّةِ بِالرَّعِيَّةِ وَالْإِحْسَانُ إلَيْهِمْ، أَنْ يَفْعَلَ مَا يَهْوُونَهُ وَيَتْرُكَ مَا يَكْرَهُونَهُ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى لِلصَّحَابَةِ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ ، وَإِنَّمَا الْإِحْسَانُ إلَيْهِمْ فِعْلُ مَا يَنْفَعُهُمْ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَلَوْ كَرِهَهُ مَنْ كَرِهَهُ؛ لَكِنْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَرْفُقَ بِهِمْ فِيمَا يَكْرَهُونَهُ. فَفِي الصَّحِيحَيْنِ، عَنْ النَّبِي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: «مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إلَّا زَانَهُ، وَلَا كَانَ الْعُنْفُ فِي شَيْءٍ إلَّا شَانَهُ». وَقَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ».

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه يقول: والله إني لأريد أَنْ أُخْرِجَ لَهُمْ الْمُرَّةَ مِنْ الْحَقِّ، فَأَخَافُ أَنْ يَنْفِرُوا عَنْهَا، فَأَصْبِرُ حَتَّى تَجِيءَ الْحُلْوَةُ مِنْ الدُّنْيَا، فَأُخْرِجُهَا مَعَهَا، فَإِذَا نَفَرُوا لِهَذِهِ، سَكَنُوا لِهَذِهِ. وَهَكَذَا كَانَ النَّبِي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذَا أَتَاهُ طَالِبُ حَاجَةٍ لَمْ يَرُدَّهُ إلَّا بِهَا، أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنْ الْقَوْلِ. «وَسَأَلَهُ مَرَّةً بَعْضُ أَقَارِبِهِ أَنْ يُوَلِّيَهُ عَلَى الصَّدَقَاتِ، وَيَرْزُقَهُ مِنْهَا، فَقَالَ: «إنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ» ، فَمَنَعَهُمْ إيَّاهَا وَعَوَّضَهُمْ مِنْ الْفَيْءِ. وَتَحَاكَمَ إلَيْهِ عَلِيٌّ، وَزَيْدٌ، وَجَعْفَرٌ، فِي ابْنَةِ حَمْزَةَ، فَلَمْ يَقْضِ بِهَا لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ: وَلَكِنْ قَضَى بِهَا لِخَالَتِهَا، ثُمَّ إنَّهُ طَيَّبَ قَلْبَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِكَلِمَةٍ حَسَنَةٍ، «فَقَالَ لِعَلِيِّ: «أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْك» ، وَقَالَ لِجَعْفَرٍ: «أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي»، «وَقَالَ لِزَيْدٍ: «أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلَانَا».

فَهَكَذَا يَنْبَغِي لِوَلِيِّ الْأَمْرِ فِي قَسْمِهِ وَحُكْمِهِ، فَإِنَّ النَّاسَ دَائِمًا يَسْأَلُونَ ولي الأمر مَا لَا يَصلُح بِنَقْلِهِ مِنَ الوِلَايَاتِ، وَالْأَمْوَالِ وَالْمَنَافِعِ وَالْأُجُور، وَالشَّفَاعَةِ فِي الْحُدُودِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. فَيُعَوِّضُهُمْ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى إنْ أَمْكَنَ، أَوْ يَرُدُّهُمْ بِمَيْسُورٍ مِنْ الْقَوْلِ، مَا لَمْ يَحْتَجْ إلَى الْإِغْلَاظِ؛ فَإِنَّ رَدَّ السَّائِلِ يُؤْلِمُهُ، خُصُوصًا مَنْ يَحْتَاجُ إلَى تَأْلِيفِهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: 10]، وقال تَعَالَى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: 26] إلَى قَوْلِهِ: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: 28].

وَإِذَا حَكَمَ عَلَى شَخْصٍ فَإِنَّهُ قَدْ يَتَأَذَّى، فإذا طيب نفسه بما يَصْلُحُ مِنْ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ كَانَ ذَلِكَ تَمَامَ السِّيَاسَةِ، وَهُوَ نَظِيرُ مَا يُعْطِيهِ الطَّبِيبُ لِلْمَرِيضِ، من الطب الَّذِي يُسَوِّغُ الدَّوَاءَ الْكَرِيهَ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ- لَمَّا أَرْسَلَهُ إلَى فِرْعَوْنَ: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: 44]، وَقَالَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- لَمَّا بَعَثَهُمَا إلَى الْيَمَنِ: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا» ، وَبَالَ مَرَّةً أَعْرَابِيٌّ فِي الْمَسْجِدِ فَقَامَ أَصْحَابُهُ إلَيْهِ فَقَالَ: «لَا تُزْرِمُوهُ» أَيْ لَا تَقْطَعُوا عَلَيْهِ بَوْلَهُ، ثُمَّ أَمَرَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصُبَّ عَلَيْهِ.

وَقَالَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ »، وَالْحَدِيثَانِ فِي الصَّحِيحَيْنِ)}.

- تستغرب حينما تُدرك أنَّ الشَّيخ كتب هذا في ليلة واحدة، فمتى استجمع كل هذه الآثار والمعاني، واستحضار وظيفة الولاية بهذا الجمع العجيب، والفقه العجيب، والعناصر المستوفاة؛ كل هذا في ليلة واحدة! أيضًا استحضر أنه يخاطب الوالي، فالوالي طلب منه أن يكتب له كلمة في السِّياسة، يعني كيف يسوس من تحت ولايته؛ فقال له: (وَلَيْسَ حُسْنُ النِّيَّةِ بِالرَّعِيَّةِ وَالْإِحْسَانُ إلَيْهِمْ، أَنْ يَفْعَلَ مَا يَهْوُونَهُ وَيَتْرُكَ مَا يَكْرَهُونَهُ) وهذا

صحيح. يعني الوالي كالأب أو المعلم، ليس من الرفق، ولا من حُسن السِّياسة، ولا من حُسن النية أنه يفعل ما يودون، إنما يفعل الأصلح، وسوف يُشير الشَّيخ إلى أن هذا ليس للوالي فقط، بل حتى للرجل في أهل بيته.

- الشيخ يقول هنا: (وَلَيْسَ حُسْنُ النِّيَّةِ بِالرَّعِيَّةِ وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ، أَنْ يَفْعَلَ مَا يَهْوُونَهُ وَيَتْرُكَ مَا يَكْرَهُونَهُ) هذا صحيح، إنما يفعل الأصلح.
- فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ ، الحق له مساغه، قد تكون وسيلة إيصال الحق تحتاج إلى رفق لكن الحق لا يُمكن أن يُعدَل عنه، ولا يمكن للحق أن يكون دائمًا في مسايرة الهوى، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾.
- وقال تعالى للصَّحابة –وهذه آية عجيبة: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ طبعًا الآية في سورة الحجرات، وسورة الحجرات كلها آداب، وقال: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: 1]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: 3]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: 6]، ثم قال -وهذه آية عجيبة: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ هذا لاشك أنه مِنَّة من الله -عز وجل- أن جعل الصَّحابة هم الصحابة، وأن اختارهم، وأن كان فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم، ولذلك قال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ يعني: مِن منَّة الله عليكم أنكم أنتم الجيل الذي كان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ يعني من منَّة الله عليكم أنه فيكم؛ لأنه هو المُوجِّه والمرشد، وهو الذي يتلقَّى الوحي، لماذا؟
- قال: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ لو أنه مشى على هواكم، لو يطيعكم في أهوائكم لعنتِّم، فالإمام ونوابه لا يمشون على أهواء النَّاس، ولا على هوى الرَّعية، فالرسول فيكم يتلقى الوحي، ويأتي بالحق -عليه الصَّلاة والسَّلام.
- قال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ هذه ميزة ومنَّة، فيذكِّرهم الله -سبحانه وتعالى- بمنَّته عليهم وهي أنَّ فيكم رسول الله.
- ثم قال: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ ، لو أنَّه سار على رغباتكم، للحقتكم أنتم المشقة، وكذلك لو سار الأب مع هوى أولاده فسيتعنتون. والعاقبة ستكون سيئة في تربية الأولاد، وفي الزوجة، وفي البنات.
- ولهذا قال: (وَإِنَّمَا الْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ) أي: الرعيَّة (فِعْلُ مَا يَنْفَعُهُمْ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَلَوْ كَرِهَهُ مَنْ كَرِهَهُ)، الأهمُّ أنَّ الإمام يَتحرى الأصلح، ويتحرى الحق، قد يخطئ في الاجتهاد، لكن ما دام أنه قد اجتهد في الحق، وعنده من يستشيرهم، أو عنده من يتحرى الحق بأدواته وأساليبه، سيُسَدَّد، لكن لو أنه سار على هواهم فلن تكون العاقبة حسنة.
- (وَإِنَّمَا الْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ، فِعْلُ مَا يَنْفَعُهُمْ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَلَوْ كَرِهَهُ مَنْ كَرِهَهُ، لَكِنْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَرْفُقَ بِهِمْ فِيمَا يَكْرَهُونَهُ)، الحقُّ مرٌّ أحيانًا، بعضُ الحقِ حلوٌ وبعضُه مرٌّ، الحقُّ المُر ينبغي أن يوصله إليهم برفقٍ.
- ثم قال: (فَفِي الصَّحِيحَيْنِ، عَنْ النَّبِي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: «مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا كَانَ الْعُنْفُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»).

أحبُّ أن أقول كلمة: النَّاس تظنُّ أنَّ الرِّفق يُعارض الحزم والقوة المحمودة، لا، الرِّفق يقابله العنف، ولا يقابله الاسترخاء أو الضعف، فالرِّفق ليس ضعفًا، ولهذا ذكر النَّبي ما يُقابله هنا، قال: «مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا كَانَ الْعُنْفُ»، فالعنف هو المذموم، فإذا أردت أن تعرف الرِّفق فاعرف مقابله وهو العنف، لكن الرِّفق لا يقابله الحزم، فالحزم مطلوب.

- وعمر بن عبد العزيز قيل إنه خامس الخلفاء رضي الله عنه كان يقول: ("والله إني لأريد أَنْ أُخرِجَ لَهُمْ الْمُرَّةَ مِنْ الْحَقِّ، فَأَخَافُ أَنْ يَنْفِرُوا عَنْهَا -لو أخرجها دفعة واحدة- فَأَصْبِرُ حَتَّى تَجِيءَ الْحُلْوَةُ مِنَ الدُّنْيَا، فَأُخْرِجُهَا مَعَهَا، فَإِذَا نَفَرُوا لِهَذِهِ، سَكَنُوا لِهَذِهِ") هذا هو الرِّفق، وهذا هو المسلك.
- قال: (وَهَكَذَا كَانَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَاهُ طَالِبُ حَاجَةٍ لَمْ يَرُدَّهُ إِلَّا بِهَا، أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنْ الْقَوْلِ) يعني ما يرده بعنف، إمَّا أن يُعطيه، وإمَّا أن يُطيِّب خاطره -كما يقال- ولهذا أورد أثرًا أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم قد سَأَلَهُ مَرَّةً بَعْضُ أَقَارِبِهِ أَنْ يُوَلِّيَهُ عَلَى الصَّدَقَاتِ، وَيَرْزُقَهُ مِنْهَا، فَقَالَ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ») وبدأ بنفسه «ولا لآل محمد»، فهذا فيه تطييب خاطر واضح. وأيضًا انتسابه لمحمد شرف، فطيَّب خاطره بأنه قال: «لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ»، ولكنه عوَّضهم الفيء كما هو معلوم.
- (وَتَحَاكَمَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ، وَزَيْدٌ، وَجَعْفَرٌ، فِي ابْنَةِ حَمْزَةَ، فَلَمْ يَقْضِ بِهَا لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ: وَلَكِنْ قَضَى بِهَا لِخَالَتِهَا، ثُمَّ إِنَّهُ طَيَّبَ قَلْبَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِكَلِمَةٍ حَسَنَةٍ، «فَقَالَ لِعَلِيّ: «أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ» ، وَقَالَ لِجَعْفَرٍ: «أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي»، «وَقَالَ لِزَيْدٍ: «أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلَانَا»).
- قال: (فَهَكَذَا يَنْبَغِي لِوَلِيِّ الْأَمْرِ فِي قَسْمِهِ وَحُكْمِهِ، فَإِنَّ النَّاسَ دَائِمًا يَسْأَلُونَ ولي الأمر مَا لا يَصْلُح بِنَقْلِهِ مِنَ الوِلَايَاتِ -يطلبون أشياء كثيرة منه، ولا يستطيع أن يلبي كل الطلبات- مِنَ الوِلَايَاتِ، وَالأَمْوَالِ وَالمَنَافِعِ وَالأُجُور، وَالشَّفَاعَةِ فِي الْحُدُودِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. فَيُعَوِّضُهُمْ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى إِنْ أَمْكَنَ -إذا يقدر يعوِّض- أَوْ يَرُدُّهُمْ بِمَيْسُورٍ مِنْ الْقَوْلِ) أي: يردهم بلطف، ولهذا يقول: (مَا لَمْ يَحْتَجْ إِلَى الْإِغْلَاظِ) لأنَّه أحيانًا قد يحتاج إلى الإغلاظ، فالإنسان قد يكون لحوحًا، وقد يأخذ كثيرًا، أو نحو ذلك، فأحيانًا المواقف تحتاج لذلك.
- في قول الله -عز وجل: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾، ما قال: "وأما السائل فأعطِه"، لأنك قد تعطيه، وإن لم تعطِه فلا تنهره، وقوله "لا تنهر" هذا عام لكل سائل، يعني: إذا كان يستحق العطاء تُعطِه، وإذا لم تعطِه فلا تنهره.
- وأيضًا في سورة الإسراء قال تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ إلى أن قال: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ يعني: إن لم تتمكَّن من إعطائهم جميعًا ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾.

والوالي إذا حَكَمَ على شخص فإنه قد يتأذى، فإذا طيَّب نفسه بما يصلح من القول، كان ذلك من تمام السِّياسة، فلو حُكم عليه، فيُقام عليه الحكم، لكن لا مانع أن يطيِّب خاطره على حسب ما تقتضيه السِّياسة.

- ووصية النَّبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ وأبي موسى: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا»، عجيبة الوصايا الثلاثة هذه!

قال: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا»، سواء فيما بينهما باعتبارهما في السفر، أو إذا تولَّا الولاية التي ولاهم إياها النَّبي صلى الله عليه وسلم، فيَسِّر ولا تُعسِّر، وبَشِّر ولا تُنفِّر، فقَدْرَ الإمكان اسلك مسالك التيسير والتبشير.

قال: «وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا» ، فهذه تُطلب في كل أحوال الدنيا، حتى الزوج وزوجته، والأب مع أولاده، والصديق مع صديقه، فينبغي فعلًا أن يتطاوعا ولا يختلفا.

{قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله تعالى-:(وَهَذَا يَحْتَاجُ إلَيْهِ الرَّجُلُ فِي سِيَاسَةِ نَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَرَعِيَّتِهِ؛ فَإِنَّ النُّفُوسَ لَا تَقْبَلُ الْحَقَّ إلَّا بِمَا تَسْتَعِينُ بِهِ مِنْ حُظُوظِهَا الَّتِي هِيَ مُحْتَاجَةٌ إلَيْهَا، فَتَكُونُ تِلْكَ الْحُظُوظُ عِبَادَةً لِلَّهِ وَطَاعَةً لَهُ مع النِّيَّةِ الصَّالِحَةِ. أَلَا ترَى أَنَّ الْأَكْلَ وَالشُّرْبَ وَاللِّبَاسَ وَاجِبٌ عَلَى الْإِنْسَانِ؛ حَتَّى لَوْ اُضْطُرَّ إلى الميتة وجبَ عليه الأكل عِنْدَ عامَّة العلماء، فَإِن لَم يأكل حَتَّى مَاتَ دَخَلَ النَّارَ؛ لِأَنَّ الْعِبَادَاتِ لَا تُؤَدَّى إلَّا بِهَذَا، وَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ. وَلِهَذَا كَانَتْ نَفَقَةُ الإنسان على نفسه وأهله مقدمة على غيرها. فَفِي السُّنَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَصَدَّقُوا فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ: عِنْدِي دِينَارٌ فَقَالَ تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ. قَالَ: عِنْدِي آخَرُ. قَالَ: تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى زَوْجَتِكَ. قَالَ: عِنْدِي آخَرُ. قَالَ تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى وَلَدِكَ. قَالَ: عِنْدِي آخَرُ. قَالَ تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى خَادِمِكَ. قَالَ: عِنْدِي آخَرُ. قال: أنت أبْصرَ بِهِ». وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ صدقت بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ. أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ». وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا ابْنَ آدَمَ إنَّكَ أَنْ تبذل الفضل خير لك، دان تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ. وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ؛ وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ. وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى». وَهَذَا تَأْوِيلُ قَوْله تَعَالَى: {وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ} [البقرة: 219] أَيْ الْفَضْلَ. وَذَلِكَ لِأَنَّ نَفَقَةَ الرَّجُلِ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ فَرْضُ عَيْنٍ، بِخِلَافِ النَّفَقَةِ فِي الْغَزْوِ وَالْمَسَاكِينِ؛ فَإِنَّهُ فِي الْأَصْلِ إمَّا فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ، وَإِمَّا مُسْتَحَبٌّ، وَإِنْ كَانَ قَدْ يَصِيرُ مُتَعَيَّنًا إذَا لَمْ يَقُمْ غَيْرُهُ بِهِ: فَإِنَّ إطْعَامَ الْجَائِعِ وَاجِبٌ؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «لَوْ صَدَقَ السَّائِلُ لَمَا أَفْلَحَ مَنْ رَدَّهُ». ذَكَرَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَذَكَرَ أَنَّهُ إذَا عُلِمَ صِدْقُهُ وَجَبَ إطْعَامُهُ. وَقَدْ رَوَى أَبُو حَاتِمٍ الْبُسْتِيّ فِي صَحِيحِهِ حَدِيثَ أَبِي ذَرٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- الطَّوِيلَ، عَنْ النَّبِي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الَّذِي فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ -وَفِيهِ أَنَّهُ كَانَ فِي حِكْمَةِ آلِ دَاوُد عَلَيْهِ السَّلَامُ: "حَقٌّ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ تَكُونَ لَهُ أَرْبَعُ سَاعَاتٍ: سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ، وَسَاعَةٌ يَخْلُو فِيهَا بِأَصْحَابِهِ الذين يُخْبِرُونَهُ بِعُيُوبِهِ وَيُحَدِّثُونَهُ عَنْ ذَاتِ نفسه، وساعة يخلو فيها بلذته فيما يَحِلُّ وَيَجْمُلُ، فَإِنَّ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ عَوْنًا عَلَى تِلْكَ السَّاعَاتِ". فَبَيَّنَ أَنَّهُ لَا بُدَّ من اللذات المباحة الجميلة فإنها تُعين عَلَى تِلْكَ الْأُمُورِ)}.

- لمَّا ذَكَرَ العفو والصَّبر، وأنَّه لا يُمكّن لهم كل ما يحبُّون، قال: (وَهَذَا يَحْتَاجُ إلَيْهِ الرَّجُلُ فِي سِيَاسَةِ نَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَرَعِيَّتِهِ).

كل مسئول يحتاج إلى هذا، إن كان في بيته، إن كان في شركة، إن كان مدير مدرسة، إن كان إمام مسجد، إن كان رئيس مصلحة، كلٌّ يحتاج إلى هذه السُّلوكيَّات العجيبة في طريقة التَّعامل مع النَّاس، في التَّيسير والرِّفق والصَّبر والتَّحمل، أيضًا يحملهم على الخير، ولكن لا يعطيهم كل ما يحبون،وإنما يسلك مسالك الرفق في هذا.

- يقول الشَّيخ: (وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فِي سِيَاسَةِ نَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَرَعِيَّتِهِ؛ فَإِنَّ النُّفُوسَ لَا تَقْبَلُ الْحَقَّ إِلَّا بِمَا تَسْتَعِينُ بِهِ مِنْ حُظُوظِهَا الَّتِي هِيَ مُحْتَاجَةٌ إِلَيْهَا. فَتَكُونُ تِلْكَ الْحُظُوظُ عِبَادَةً لِلَّهِ وَطَاعَةً لَهُ مع النِّيَّةِ الصَّالِحَةِ) يعني تعمل العمل المعتاد ويكون عبادة، وذلك بالنية الصالحة، والحرص على تعاليم الإسلام، وابتغاء وجه الله -عز وجل- كل ذلك يحول العادة إلى عبادة.
- والشَّيخ هنا يقول: (فَتَكُونُ تِلْكَ الْحُظُوظُ) مع أنها رغبات مشتهيات للنفوس وللأهل (فَتَكُونُ تِلْكَ الْحُظُوظُ عِبَادَةً لِلَّهِ وَطَاعَةً لَهُ مع النِّيَّةِ الصَّالِحَةِ. أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَكْلَ وَالشُّرْبَ وَاللِّبَاسَ وَاجِبٌ عَلَى الْإِنْسَانِ) ، واجبٌ لأنه إذا لم يفعله فإنه يُلقي بنفسه إلى التهلكة. قال: (حَتَّى لَوْ اُضْطُرَّ إلى الميتة وجبَ عليه الأكل عنْدَ عامَّة العلماء).
- قال: (وَلِهَذَا كَانَتْ نَفَقَةُ الإنسان على نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ مُقَدَّمَةٌ عَلَى غَيْرِهَا) وهذا عجيب جدًا في الدين!
- تأمّلوا حديث أبي هريرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَصَدَّقُوا فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ: عِنْدِي دِينَارٌ، فَقَالَ: تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ» ، فالرسول صلى الله عليه وسلم قال : «تَصَدَّقُوا»، فَمَا تُنفقه على نفسك قد عَدَّه النَّبي صلى الله عليه وسلم صدقة، مع أنَّه واجب عليك أن تأكل، وأحيانًا تظنه أنت من المباح، أو أنَّه من المعتاد، وإنما عدَّه النَّبي صلى الله عليه وسلم صدقة، بمعنى أنك تُثاب عليه، والله -عز وجل- يقول: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ إلى آخره.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَصَدَّقُوا فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ: عِنْدِي دِينَارٌ فَقَالَ تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ. قَالَ: عِنْدِي آخَرُ. قَالَ: تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى زَوْجَتِكَ». فالزوجة مقدَّمة على الوالدين.

«قَالَ: عِنْدِي آخَرُ. قَالَ: تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى وَلَدِكَ. قَالَ: عِنْدِي آخَرُ. قَالَ: تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى خَادِمِكَ»، كل هؤلاء مقدَّمون على الفقراء وعلى المساكين. «قَالَ: عِنْدِي آخَرُ. قال: أنت أبْصرَ بِهِ».

ولهذا نجد عدم فقه عند كثير من النَّاس، يذهب فيُحسن ويتصدق، وحتى قد يتصدق في الخارج للإغاثات -وهذا جيد- لكن أهلك أولى بفضلك، وأيضًا أعظم أجرًا لك، إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله، إلا أُجرت عليها، حتى ما تضعه في فم امرأتك، فالإنفاق مِن أعظم وجوه حفظ البيوت.

- فعباد الرحمن يُنفقون، قال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا} [الفرقان: 67].

  وأوّل ما يُنفق الإنسان ينفق على نفسه، وعلى أهله، قبل أن ينفق على الفقراء وعلى المساكين.
- والحديث الآخر في صحيح مسلم: «دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تصدقت بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ. أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ» لاحظ أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم بدأ بالأعلى.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

